

أحاديث رمضان ٤٢٨ هـ - قوانين القرآن الكريم - الدرس (١٨ - ٢١) : الحب في الله - المحبة في الله عين التوحيد ، والمحبة مع الله عين الشرك
لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١٠-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الحب في الله:

أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس سنن الله في خلقه، الموضوع اليوم الحب في الله.
(فَلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية: ٣١)

١ - علامة حبك لله اتباع منهج رسوله:

علامة محبتك لله اتباعك لمنهج النبي عليه الصلاة والسلام.
(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

(سورة الإسراء الآية: ١٩)

أي شيء ثاب عليه لا بد من دليل يؤكده.

٢ - علاقة العبد مع ربه علاقة حب وطاعة:

لكن النقطة الدقيقة أن الله سبحانه وتعالى جل في علاه شاعت حكمته أن العلاقة بينك وبينه علاقة محبة، عبر عنها العلماء بالمحبوبية، لو أراد لجعلك تطيعه قسراً، أرادك أن تأتيه طائعاً، أرادك أن تأتيه بمبادرة منك، أرادك أن تحبه، هو غني عن طاعتك، ولا تضره معصيتك.

**((فَلَوْ أَنْ أُولَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجْنَمْ وَحِيكُمْ وَمِيتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى قَلْبٍ أَنْقَى
عَبْدٌ مِنْ عَبْدِي مَا زَادَ فِي مَلْكِي جَنَاحَ بَعْوَذَةٍ. وَلَوْ أَنْ أُولَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَجْنَمْ وَإِنْسَكُمْ وَحِيكُمْ
وَمِيتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى قَلْبٍ أَفْجَرَ عَبْدٌ هُوَ لِي مَا نَقْصٌ مِنْ مَلْكِي جَنَاح))**

[رواه الطبراني عن أبي موسى]

لا تنفعه طاعتنا، ولا تضره معصيتنا، ولكن أراد أن يكرمنا، خلقنا لجنة عرضها السماوات والأرض، حينما أحبا ابتداءً ينتظر أن نحبه، والدليل على ذلك:

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ)

(سورة المائدah الآية: ٥٤)

لما أحبنا أو لا ينتظر أن نحبه ثانياً، لذلك ما أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة قهر، ولا علاقة جبر، ولا علاقة إجبار، أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة محبة، الدليل: **(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)**

الدليل الآخر:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية: ٢٥٦)

لذلك الكافر يأكل ويشرب، والملحد يأكل ويشرب، وبينما ويتمتع بصحة عالية جداً، وله زوجة أولاد، وعنه بيت، ومركبة، معه أموال طائلة، وهو ينكر وجود الله، لا تنفعه طاعتنا، ولا تضره معصيتنا، ولكن أرادنا أن نكون سعداء بالقرب منه، والدليل:

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَدُكَ خَلَقُوكُمْ)

(سورة هود الآية: ١١٩)

خلقهم ليرحمهم، خلقهم ليسعدهم، خلقهم لجنة عرضها السماوات والأرض.

٣ - محبة الله تستلزم الطاعة التامة:

لكن أيها الإخوة، أنا لا أتمنى أن يتواهم الواحد منا أنه يحب الله من دون أن يأخذ موقفاً، دفقوا:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِتِهِمْ مَنْ شَئْتُمْ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية: ٧٢)

كل دعوى المحبة لا قيمة لها، أين العمل؟ هل أنت وقاف عند كلام الله؟ هل يراك حيث أمرك؟
هل يفقدك حيث نهاك؟ هل أنت مطيع لله؟

(أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَخْفَقُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

(سورة يونس)

أيها الإخوة، في الإسلام عقائد، وفي الإسلام عبادات، وفي الإسلام معاملات، وفي الإسلام أخلاق،
لكن شطر هذا الدين أن تحب الله.

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

[منفق عليه]

آية تقسم ظهر المدعين للمحبة:

الآية الدقيقة، والله أيها الإخوة، هذه الآية تقسم الظاهر :

(فَلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ

الأشخاص.

(وَأَمْوَالَ افْتَرَقْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَحْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا)

الأشياء، الأشخاص، والأشياء.

(أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا)

(سورة التوبه الآية: ٢٤)

بين المبادئ والأشخاص والأشياء:

١ - عصر النبي عصر المبادئ، والأشخاص والأشياء في خدمة المبادئ:

في الحياة في مبادئ، وأشخاص، وأشياء، في عصر النبي عليه الصلاة والسلام المبادئ هي الأصل، الأشخاص والأشياء في خدمة المبادئ.

سيدنا عمر جاءه ملك، ملك الغساسنة جاءه مسلماً، رحب به، النبي عليه الصلاة والسلام طلب النخبة، في أثناء طواف هذا الملك حول الكعبة داس بدوياً من قبيلة فزارة طرف رداء هذا الملك، فانخلع ثوبه من كتفه، ملك عظيم جبار، التفت نحو هذا البدوي فضربه ضربة هشمت أنفه، هذا البدوي ذهب إلى عمر، وشكى جبلة، سيدنا عمر استدعى جبلة، شاعر معاصر صاغ الحوار الذي جرى بينهما، سيدنا عمر قال لجبلة:

أصحح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال:

لست من يكتم شيئاً أذبت الفتى أدرك حقي بيديا

قال له سيدنا عمر:

أرض الفتى، لا بد من إرضائه مازال ظفرك عالق بدمائه

أو يهشمك الأنفـك وتنال ما فعلتهـك

هذا عصر مبادئ، الأشياء والأشخاص في خدمة المبادئ.

قال:

كيف ذاك يا أمير هو سوقـة وأنا عـرش وـتاج

كيف ترضىـكـ أنـ يـخـرـ النـجمـ أـرـضاـ ؟

قال له سيدنا عمر:

نـزـواتـ الجـاهـلـيةـ، وـرـيـاحـ العـنـجـهـيـةـ قدـ دـفـنـاـهاـ

أـقـمـناـ فوقـهاـ صـرـحاـ جـديـداـ وـتـسـاوـيـ النـاسـ لـدـنـاـ أـحـرـارـاـ لـدـنـاـ وـعـبـيدـاـ

قال جبلة:

كان وهمًا ما جرى ف ي خلدي أنني عندك أقوى وأعز
أنا مرتد إذا أكرهتني.

قال له:

عنق المرتد بالسيف تحز
عالم نبنيه، كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبد بالصلوک تساوى
هذا عصر مبادىء، والأشخاص والأشياء في خدمة المبادىء.

٢ - نحن في عصر الأشخاص والأشياء:

نحن في عصر آخر: الأشياء والأشخاص، في أول العصر الأشخاص والأشياء في خدمة المبادىء، وفي عصر آخر المبادىء والأشياء في خدمة الأشخاص، هذا عصر درجة ثانية.

٣ - أخطر عصر أن تكون المبادىء والأشخاص في خدمة الأشياء:

لكن العصر الخطير أن تكون المبادىء والأشخاص في خدمة الأشياء، حتى تكون قيمة المرء الآن مساحة بيته، نوع مركبته، جماله، أناقته، ثمن ثيابه، قيمة المرء متاعه، المبادىء والأشخاص في خدمة الأشياء، إذا وصل المجتمع إلى هذا المستوى فاقرأوا عليه السلام، المبادىء لا قيمة لها أبداً، والأشخاص لا قيمة لهم، الأشياء لها كل شيء.

فذلك:

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ)
هؤلاء الأشخاص.

(وَأَمْوَالُ اقْرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةُ تَخْشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مَنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا)

الطريق إلى الله ليس سالكاً، كيف؟

(وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهُ)

بيت بنظام الإيجار القديم، أنت مستأجره بمئة ليرة بالشهر، وصاحبها بحاجة إليه، القانون معك، فلا تعبأ به، هذا المنزل أحب إليك من تطبيق أمر الله عز وجل برد البيت إلى صاحبه. أحياناً له زوجة يحبها، لا تزيد أن تتحجب، ولكنه حريص على رضائهما، فلم يعبأ بدينهما، بل أراد أن تكون عنده زوجة يفخر بها، ويسعد بها، ولم يعبأ بدينهما.

فلما لما يكون الشيء أغلى عند الإنسان من الله فتيقنو أن الطريق إلى الله ليس سالكاً.

(فَتَرَبَّصُوا)

(فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

(سورة التوبة)

حديث عظيم في حلاوة الإيمان:

١ - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما:

شيء دقيق جداً، لما قال النبي الكريم:

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الإِيمَانَ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا))

[منقق عليه عن أنس]

أي أن يكون الله في قرآن، والنبي في سنته أحب إليه مما سواهما، متى؟ عند التعارض، حينما تتعارض مصلحتك مع الحكم الشرعي القرآني، أو حينما تتعارض مصلحتك مع الحكم الشرعي النبوي، إن فعلت هذا فالطريق مسدود، والله عز وجل عزيز، ولم يقبل منك أن تؤثر عليه شيئاً، هذا الحديث أيضاً قريب من هذه الآية، أن يكون الله في قرآن، ورسوله في سنته عند التعارض، بينما تتعارض مصلحتك مع الحكم الشرعي، إن أثرت الحكم الشرعي أثبت أنك تحب الله أكثر من أي شيء آخر.

لذلك:

((قُلْ إِنَّ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالَ افْتَرَقْتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَخْسُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ ثَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

الفسق يحول بينكم وبين الاتصال بالله عز وجل، وبشكل أو بآخر إذا كانت الشهوة أغلى عليك من الله فالطريق إلى الله ليس سالكاً، الله عزيز، وقد وقعت في الشرك.

((أَرَأَيْتَ مَنْ أَخْذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)

(سورة الفرقان الآية: ٤٣)

هذه الشهوة آثرتها على رضاء الله عز وجل، فلذلك:

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الإِيمَانَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا))

لذلك ذاق طعم الإيمان، الإيمان له طعم، والإيمان له حقيقة، إدراك حقيقة الإيمان سهل جداً، يحتاج إلى فكر، وإلى قراءة، وكتابة، تقرأ فتفهم، فتحفظ، لكن أن تذوق حلاوة الإيمان لابد أن تدفع الثمن باهظاً، وهو طاعة الله عز وجل.

٢ - وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَةَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ:

لذلك:

((ثَالِثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَةَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ))

المؤمن يحب المؤمن، ولو كان فقيراً وضعيفاً، ويتبرأ من غير المؤمن، ولو كان قوياً وغنياً، هذا الولاء والبراء دليل المحبة.

٣ - وَأَنْ يَكُرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفُرِ كَمَا يَكُرِهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ:

العلامة الثالثة التي فيها طعم الإيمان وحلوة الإيمان:

((وَأَنْ يَكُرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفُرِ كَمَا يَكُرِهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

إخواننا الكرام، الإنسان يحب أن يعتمد عقيدة صحيحة، فكر نير، أدلة صحيحة، أدلة قطعية، عنده تفسير لكل شيء، هذا شيء متواافق في الإسلام.

الإنسان عقل يدرك وقلب يحب:

الإسلام العظيم قدم لك تصورا عميقا، دقيقا، متناسقا للكون، والحياة، والإنسان، لكن أنت أيها الإنسان لست عقلاً يدرك فقط، أنت عقل يدرك، وقلب يحب، الجانب أساسي من جوانب شخصيتك قلب يحب، أنت بحاجة إلى أن تحب الله، وأن يحبك الله.

مرة حدثنا دكتور في الجامعة هو أستاذ في علم النفس، قال: الإنسان الذي لا يجد حاجة إلى أن يُحب، أو إلى أن يُحب ليس من بني البشر، لذلك يمكن أن تحب زوجتك، يمكن أن تحب امرأة لا تحل لك، يمكن أن تحب طعاماً، أن تحب بيتك، أن تحب مركبة، لكن إذا أحببت الله عز وجل كنت في أعلى درجات الإيمان.

لذلك قالوا: هناك حب في الله، وحب مع الله، الحب في الله عين التوحيد، والحب مع الله عين الشرك.

١ - حب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين:

دخلنا الآن في الموضوع، الحب في الله، إنك تحب الله جل جلاله من علامات محبتك لله أنك تحب رسوله، حب رسوله حب في الله، وحب أصحابه الكرام جميعاً حب في الله، وحب العلماء الصادقين الربانين المخلصين حب في الله، وحب زوجتك وأولادك حب في الله، وحب المساجد حب في الله، حب القرآن الكريم حب في الله.

٢ - بغضُّ غير المؤمن والفاسن:

أما أن تحب صديقاً غنياً بعيداً عن الدين، لكنه يغدق عليك من أمواله الطائلة، هذا حب مع الله، وهو عين الشرك.

إياكم والشرك الخفيّ:

لذلك قال سيدنا علي: <الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وأدنى أن تحب على جور >.

إنسان منحرف تحبه، هذا نوع من الشرك، أو أن تبغض على عدل، واحد نصحك بأدب، لكن ما تحملت هذه النصيحة فأبغضته، إنك في الحالة الأولى أشركت مع الله إنساناً ليس مستقيماً، لكنه يغدق عليك من أمواله، وفي الحالة الثانية لأن هذا الإنسان الذي نصحك لعله جرحك، فثارت منه، وأشركت نفسك مع الله، الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وأدنى أن تحب على جور و أو أن تبغض على عدل.

هذا هو الحبُّ الحقيقي:

أيها الإخوة، الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، قل لي من تحب أقل لك من أنت، المؤمن يحب الله، يحب الرفيق الأعلى، يحب طاعته، قال النبي الكريم:
((لو كنت متذملاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي، ولكن أخ وصاحب في الله))
المؤمن يؤثر الله على كل شيء.

((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، من ولده، ووالده، والناس أجمعين))

[متفق عليه]

سيدنا عمر قال: والله يا رسول الله لأنك أحب إلي من أهلي ولدي ومالي إلا نفسي التي بين جنبي، قال له: كلا يا عمر، إلى أن قال له: والله يا رسول الله لأنك أحب إلي من مالي، ولدي، ونفسي التي بين جنبي، قال: الآن يا عمر.

الدين نصفه محبة، والحب في الدين يجعلك كالمرجل، الحب في الدين يجعلك تذوق حلاوة الإيمان، من دون حب الدين نصوص، وتقاليد، عادات، وأشياء مملة في النهاية.

الصحابة الكرام: أنا لا أتصور امرأة تتقدّم رسول الله، يبلغها أن النبي قُتل ، فتنطلق إلى ساحة المعركة، لا تلوي على شيء، رأت زوجها مقتولاً، فلم تعبأ، رأت أبيها مقتولاً، فلم تعبأ، رأت ابنها مقتولاً، لم تعبأ، رأت أخيها مقتولاً، تقول: ما فعل رسول الله ؟ إلى أن وقعت عينها عليه، فقالت: يا رسول الله كل مصيبة بعدهك جل، هذا هو الحب.

الحب أخيها الإخوة يفعل المستحيل، الحب يجعل الواحد كألف، وبلا حب الألف كألف.

المحبة في الله عين التوحيد، والمحبة مع الله عين الشرك:

بصراحة إذا ما دمعت عين الإنسان إطلاقاً، ولا خش قلبه إطلاقاً، ولا ناجي ربه إطلاقاً، ولا رأى أنه ليس كما ينبغي، فهناك مشكلة عنده كبيرة جداً.

أنت عقل يدرك وقلب يحب، وأرقى أنواع الحب أن تحب الله، إن أحببت الله فأنت حر، الحمد لله الذي أخرجنا من ظلم الأوثان إلى عدل الإسلام، لأن الصنم وثن، يسأله وهو حجر لا يقدم ولا يؤخر، أما الله عز وجل فهو معك أينما كنت، يسمعك، ويلبيك، ألم يقل الله عز وجل:

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاكُمْ)

(سورة الفرقان الآية: ٧٧)

حينما تدعوه تؤمن بوجوده، وإذا دعوته تؤمن أنه يسمعك، وإذا دعوته تؤمن أنه قادر على كل شيء، وإذا دعوته تؤمن أنه يحبك.

فلذلك أخيها الإخوة، بين أن تحب في الله، وهو عين التوحيد، وبين أن تحب مع الله، وهو عين الشرك، ومحبة الله بلا دليل لا قيمة لها إطلاقاً، كل يدعى وصلاً بليلي، دليلها أن تحب الله، وأن تتبع منهج نبيه:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ)

والحمد لله رب العالمين